الحديث الرابع عشر

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذابٌ، وعائلٌ مستكبرٌ».

رواه مسلمٌ في كتابه الإيمان من صحيحه[1]، والنَّسائيُّ[2] بلفظ: **«ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة: الشَّيخ الزَّاني، والعائل المزهوُّ، والإمام الكذَّاب».**

وأورد النَّسائيُّ روايةً أخرى[3] عن أبي هريرة فيها زيادةٌ، ولفظ هذه الرِّواية: **«أربعةٌ يبغضهم الله عزَّ وجلَّ: البيَّاع الحلاَّف، والفقير المُختال، والشَّيخ الزَّاني، والإمامُ الجائر».**

وقبل أن ندرس هذا الحديث العظيم، البليغ؛ أود أن أشير إلى أنَّ مسلماً ـ رحمه الله ـ أورده في كتاب الإيمان من «صحيحه» وهذه مزيةٌ رائعةٌ من مزايا دراسة العقيدة في كتب السُّنَّة؛ إذ تربط السُّلوك بالعقيدة. وقد جمع مسلمٌ أحاديث عدَّةً متشابهةً في هذا الموضوع، وقد وضع لها النَّوويُّ العنوان الآتي:

---

(١) صحيح مسلم (طبعة إستانبول ١/٧٢ وطبعة عبد الباقي برقم ١٠٧ وفي شرح النَّوويِّ ٢/١١٥).

(٢) النَّسائيُّ ٥/٨٦.

(٣) النَّسائيُّ ٥/٨٦.

[باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنِّ بالعطيَّة، وتنفيق السِّلعة بالحلف، وبيان الثَّلاثة الَّذين لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم].

وأورد حديث أبي ذرٍّ، وقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهم يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم» فقرأها ثلاث مرارٍ، قال أبو ذرٍّ: خابوا، وخسروا. مَنْ هم يا رسول الله؟! قال: «المسبل، والمنَّان، والمُنَفِّق سلعته بالحَلِف الكاذب»[1].

وأورد مسلم في هذا الباب[2] حديثاً آخر عن أبي هريرة وذكر الثلاثة على النحو الآتي: «... رجلٌ على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السَّبيل، ورجلٌ بايع رجلاً بسلعةٍ بعد العصر، فحلف له بالله لأخذها بكذا، وكذا، فصدَّقه؛ وهو على غير ذلك، ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفىٰ، وإن لم يعطه منها لم يَفِ».

وكلُّها خصالٌ مُهْلِكةٌ، لا يتَّصف بها المؤمن الصَّادق. ولننظر في حديث أبي هريرة، وقد بدأه ﷺ بقوله: «ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم».

و(ثلاثة) مبتدأ، وقد ساغ الابتداء بالنَّكرة؛ لأنَّها وصفت[3].

وقوله: «لا يكلِّمهمُ الله...» فيه اقتباسٌ من القرآن.

ومعنى «لا يكلِّمهم الله» أي: لا يكلِّمهم بما يسرُّهم، وينفعهم، ولا يكلِّمهم تكليم أهل الخير، وذلك كنايةٌ عن غضبه عليهم. وقيل: المراد: الإعراض عنهم.

---

(1) رواه مسلمٌ (١٠٦)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والتِّرمذيُّ (١٢١١)، والنَّسائيُّ (٨/ ٢٠٨)، وابن ماجه (٢٢٠٨).

(2) صحيح مسلم ١/ ٧٢.

(3) ويجوز أن تعرب خبراً مقدماً والمبتدأ عندئذٍ: شيخٌ زانٍ، وقدَّم الخبر للتَّشويق والاهتمام به تحذيراً. والأوَّل أصحُّ.

ومعنى قوله: «ولا يزكِّيهم» أي: لا يطهِّرهم من دنس الذُّنوب، ولا يتقبَّل أعمالهم، ولا يثني عليهم.

ومعنى قوله: «ولا ينظر إليهم» أي: لا ينظر إليهم نظر رحمةٍ، أي: يعرض عنهم، ونظرُه سبحانه وتعالى لعباده رحمتُه لهم، ولُطْفه بهم.

والعذاب الأليم: العذاب المؤلم. قال الواحديُّ: هو العذاب الَّذي يخلص إلى قلوبهم وجعه. جاء في «شرح النَّوويِّ»: [وأصل العذاب في كلام العرب من العذب، وهو المنع. يقال: عَذَبْتُه عَذْباً: إذا منعته، وعَذَبَ عذوباً؛ أي: امتنع، وسمِّي الماء عذباً؛ لأنَّه يمنع العطش، وسمِّي العذاب عذاباً؛ لأنه يمنع المُعَاقَبَ من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من فعله][1].

والشَّيخ: مَنْ تقدَّم في السِّنِّ، وذلك من الخمسين فما فوق[2]. والعائل: الفقير، مشتقٌّ من العَيْلة، والعَيْلة: الفقر. وجمع عائل: عالة.

خصالٌ مهلكةٌ يتحدَّث عنها هذا النَّص الكريم هي: الزِّنى[3]، والكذب، والتَّكبُّر. وهي كلُّها قبيحةٌ مذمومةٌ، يُهدَّد صاحبها بشرِّ العواقب وسوء المصير، ولكنَّها في نفرٍ ثلاثةٍ أشدُّ قبحاً. ولذلك فقد شدَّد عليهم؛ إن هم ارتكبوها؛ لأنَّهم يقترفون ما يقترفون من هذه القبائح؛ وهم غير واقعين تحت ضغط الشَّهوة، ولا هم مسوقون إليها بضرورةٍ ملحةٍ، ولا خوفٍ ملجئ.

فالزِّنى فاحشةٌ منكرةٌ، يمقت الله صاحبها، وجريمةٌ بشعةٌ تُقوِّض نظام المجتمع، وبهيميَّةٌ متوحِّشةٌ، ينحدر مقترفها عن المستوىٰ الرَّفيع؛ الذي أراده الله للإنسان، وينحطُّ إلى دركة الحيوانيَّة، ليشارك الحيوان الأعجم، وبالاستجابة لداعي الغريزة العمياء الطَّائشة؛ الَّتي لا تلتزم قاعدةً، ولا تقف

---

(١) شرح مسلم للنَّوويِّ ٢/١١٦.
(٢) انظر القاموس. والمصباح المنير.
(٣) ويجوز أن تكتب بالألف، لأنها تمدُّ فتقول: زناء، والقاعدة تجيز كتابة الممدود بالألف إذا قُصِرَ.

عند حدٍّ، وفي ذلك إخلال بالأمن، وتضييعٌ للأنساب، وعدوانٌ على الحرمات.

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «لا يزني الزَّاني حين يزني؛ وهو مؤمنٌ». أخرجه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه[1].

اعترف الإسلام بالغريزة الجنسيَّة، ونظَّمها بأحكم نظامٍ، ووظَّفها لتسير في الإطار النَّافع للفرد والأمَّة... ولم يشجع الرَّهبانيَّة، بل نفاها، وذمَّها، فلا رهبانية في الإسلام، وجعل ممارسة الغريزة في طريق الحلال أمراً يثاب فاعله. يقول رسول الله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقةٌ» قالوا: أيأتي أحدنا شهوته؛ يكون له فيها أجرٌ؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أما يكون عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال؛ كان له عليها أجرٌ»[2].

نعم لم يَدْعُ الإسلام أتباعه إلى الانصراف عن هذه الغريزة، كما فعلت النَّصرانيَّة المُحرَّفة... بل جعل الزَّواج من سنَّته، وندب إليه بكلِّ وضوحٍ، وقوَّةٍ.

يقول ﷺ: «يا معشر الشَّباب! من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوَّج، فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَنْ لم يستطع؛ فعليه بالصَّوم فإنَّه له وِجَاء»[3].

وقال تعليقاً على مَنْ قال من أصحابه: (أنا لا أتزوَّج النِّساء) قال ﷺ: «... وأتزوَّج النِّساء، فمن رغب عن سُنَّتي؛ فليس منِّي»[4].

وغلَّظ عقوبة مَنْ يبتغي هذه اللَّذة عن غير طريق الزَّواج زجراً لِلْعَادِيْنَ، وتحذيراً لمن تحدِّثه نفسه بذلك من الآخرين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥

---

(١) البخاريُّ ٧/ ٩١ برقم ٥٥٧٨، ومسلم ١/ ٥٤ برقم ٥٧، وابن ماجه برقم ٣٩٣٦، وأبو داود ٤٦٨٩، والنَّسائي ٨/ ٦٤ و٦٥.

(٢) صحيح مسلمٍ برقم ١٠٠٦.

(٣) صحيح البخاريِّ برقم ١٩٠٥، ومسلمٌ برقم ١٤٠٠، وأبو داود برقم ٢٠٤٦، والتِّرمذيُّ ٢/ ١٦٧ برقم ١٠٨١ والنَّسائيُّ ٤/ ١٦٩ ـ ١٧١ و٦/ ٥٧ ـ ٥٨.

(٤) البخاريُّ ٥٠٦٣.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

غلَّظ عقوبة الزَّاني، فجعلها الجَلْدَ مئة جلدةٍ، والنَّفيَ لغير المُحْصَن، والرَّجم حتَّى الموت للمُحصن، وهو أشدُّ العقوبات الَّتي جاء بها الإسلام؛ لأنَّ الزِّنى في نظره من أكبر الكبائر، ولذلك نجده في كتاب الله مقروناً بالقتل، والشِّرك، والسَّرقة:

* قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ. . .﴾ [الممتحنة: ١٢].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣١ ـ ٣٣].

أرأيت كيف قرن الزِّنى في هذه الآيات بأعظم الكبائر.. بالشِّرك، والقتل، والسَّرقة.. إنَّ ذلك يدلُّ على ضخامة هذه المعصية، وكونها من الكبائر الموبقات.

قال القاضي عياض: سبب تخصيصه ﷺ الشَّيخ الزَّاني، والملك الكذَّاب، والعائل المُستكبر، بالوعيد المذكور: أنَّ كلَّ واحدٍ منهم التزم المعصية المذكورة مع بُعْدِها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يُعذر أحدٌ بذنبٍ، لكنْ لمَّا لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورةٌ مزعجةٌ، ولا دواعٍ... أشبه إقدامُهم عليها المعاندة، والاستخفاف بحقِّ الله تعالى، وقَصْدَ معصيته، لا لحاجةٍ غيرها، فإنَّ الشيخ لكمالِ عقله، وتمام معرفته بطولِ ما مرَّ عليه من الزَّمان، وضعف أسباب الجماع، والشَّهوة للنِّساء،

واختلال دواعيه؛ لذلك عنده ما يُريحه من دواعي الحلال في هذا ، ويخلّي سرَّه منه ، فكيف بالزِّنى الحرام؟!

وإنَّما دواعي ذلك الشَّبابُ ، والحرارة الغريزيَّة ، وقلَّة المعرفة ، وغلبة الشَّهوة ؛ لضعف العقل ، وصغر السِّنِّ. . .][1].

فإذا صدرت هذه الجريمة المنكرة ممَّن انقطعت دواعيها في نفسه ، وضعُفت مُغرياتها ، ودوافعها عنده ؛ دلَّ ذلك على انحطاطه ، وانسلاخه من إنسانيَّته ، وانحداره إلى بهيميَّة حقيرةٍ ، وعلى تأصُّل الشَّرِّ في نفسه ، وعلى استخفافه بشريعة الله ، ولذلك كان الشَّيخ الزَّاني مستحقّاً لهذا الوعيد الشَّديد.

* والكذب نقص في رجولة المرء ، ينبئ عن جبنه ، وخسَّة طبعه ، وهو سمةٌ من سمات المنافق ؛ الذي جاء وصفه في الحديث الصَّحيح ، وذلك في قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان»[2] وهو من أبشع الخصال. . . والمؤمن الصَّادق لا يكذب ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] وهو طريقٌ إلى النَّار ، وسببُ الشقاء في الدُّنيا ، «. . . إنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار»[3]. . . والكذَّاب مُزدرى منبوذٌ ، لا يثق النَّاس به ، ولا يطمئنون إلى كلامه.

ولكن قد يضعف الإنسان ، فيخاف ، ويحملُه خوفه على الكذب.

وقد يرغب في منفعةٍ ، ويطمع في منزلةٍ ، فيحمله ذلك على الكذب.

أمَّا المَلِكُ ؛ الَّذي لا يخشىٰ أحداً من النَّاس ، ولا يحتاج إلى مداهنة أحدٍ ، أو مصانعته ، فما عذره إن كذب؟ إنَّه غنيٌّ عن الكذب مطلقاً.

ولذلك كان كذبه دليلاً على سوء الطَّويَّة ، والاستخفاف بالدِّين ، وبالخلق

---

(١) شرح مسلم للنَّوويِّ ٢/ ١١٧.

(٢) البخاريُّ ١/ ١٢ برقم ٣٣ ، ومسلمٌ ١/ ٥٦ برقم ٥٩.

(٣) البخاريُّ ٨/ ٢١ برقم ٦٠٩٤ ، ومسلمٌ برقم ٢٦٠٧ وأبو داود ٤/ ٤٠٧ برقم ٤٩٨٩ ، وأحمد ١/ ٣٨٤ ، والترمذيُّ ٣/ ١٣٧ برقم ١٩٧١.

الكريم ، وكان مستحقّاً هذا العقاب الشّديد . قال القاضي عياض :

[وكذلك الإمام لا يخشىٰ أحداً مِنْ رَعِيَّته ، ولا يحتاج إلى مداهنته ، ومصانعته ، فإنَّ الإنسان إنَّما يُداهن ، ويصانع بالكذب ، وشبهه مَنْ يحذره ، ويخشىٰ أذاه ، ومعاقبته ، أو يطلب عنده بذلك منزلةً أو منفعةً][1] .

* والكِبْرُ دناءةٌ وقحةٌ تدلُّ على خلوِّ النَّفس من معاني الخير ، والنُّبل ، وما تكبَّر أحدٌ إلا لِضَعَةٍ يجدها في نفسه[2] ، والمُتكبِّر يريد أن يعوِّض عن نقصه بالتَّعالي ، والكبرياء ، فالتكبُّر تعويضٌ عن ذاك النَّقص الَّذي يحسُّ به العاجزون الَّذين لم يستطيعوا أن ينجحوا في الحياة ، ولا أن يصلوا إلى انتزاع إعجاب مخالطيهم ، فلجؤوا إلى الكِبْر ، ليوهموا أنفسهم : أنَّهم فوق الناس.

والكِبْر قيدٌ ، وذُلٌّ ، وإثم .

إنَّه قيد ؛ إذ يسجن صاحبه في ذاته ، ونفسه ، فلا يستطيع أن يتجاوزها ، ولا يقوىٰ على أن يفكِّر في غيرها . ومن هنا كان الكِبْر حائلاً دون استكمال الفضائل ، والتخلُّص من النَّقائص ، ويقعد بالمرء عن الآفاق الرَّحيبة الَّتي يتطلَّع إليها المُتواضع ، ويبلغها ، فلا يتعلَّم ما يَجْهَل كما قيل :

الْعِلْـمُ حَـرْبٌ لِلْفَتَـى المُتَعَـالِـي ... كَـالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَـانِ العَـالِـي[3]

والكِبْر ذلٌّ يجلب إلى صاحبه المَهانة ؛ ذلك لأنَّه عندما يتكبَّر على النَّاس ، وينظر إليهم نظرة استخفافٍ ، واستهانةٍ يقابلونه بالكراهيَّة ، والازدراء ، أو بالحقد ، والمكر ؛ إن لم يستطيعوا مواجهته .

والكِبْرُ إثمٌ يجلب إلى صاحبه سَخَطَ الجبَّار ، وغضَبَه .

ويحاول المتكبِّر أن يتمسَّك بمسوِّغاتٍ تُقنعه هو وحدَه بسلامة تصرُّفه ، ويصدِّق نفسه أنَّه أرقىٰ من النَّاس . . . وإن كانت هذه المسوِّغات تافهةً لا قيمة لها ، ولا شأن.

---

(١) شرح مسلم ٢/١١٧ .
(٢) هذا من كلام لعمر رضي الله عنه .
(٣) انظر التبيان للنَّوويِّ ص ٣٧ .

وكثيراً ما تكون وفرةُ المال ، وضخامةُ المسكن ، وأناقةُ الملبس أسباباً تدفعه إلى الكِبْر ، وتبدو له حُجَجاً كافيةً ليقتنع النَّاس بأنَّ صاحبها فوقهم ومن مستوىً رفيع ، وهذا لا يكون إلا من إنسان عاميٍّ قصير النَّظر ، فإن كان المتكبِّر فقيراً ؛ دلَّ تكبُّره على حقارة نفسه ؛ لأنَّه لم يتكبَّر استجابةً لدافع الغرور بالغنى ، والبطر بالنِّعمة. . . وعلى ذلك فهو مستحقٌّ لذاك الوعيد المُخيف الوارد في الحديث.

وعندما يسود التَّواضُع في المُجتمع تعمُّ المحبَّة ، ويزول البغي.

عن عياض بن حمارٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا ؛ حتى لا يفخَر أحدٌ على أحدٍ ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ» رواه مسلمٌ ، وأبو داود ، وابن ماجه[1].

قال القاضي عياض: [وكذلك العائل الفقير قد عدم المال، وإنَّما سبب الفخر، والخيلاء ، والتَّكبُّر ، والارتفاع على القرناء الثَّروةُ في الدّنيا ؛ لكونه ظاهراً فيها، وحاجاتُ أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها؛ فلماذا يستكبر، ويحتقر غيره؟ فلم يبق فعلُه إلا لضربٍ من الاستخفاف بحقِّ الله تعالى][2].

ويحسن بنا أن نورد بعض الأحاديث عن النَّبيِّ ﷺ في الكِبْرِ:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رَفَعه». رواه مسلمٌ ، والتِّرمذيُّ[3].

* عن طارق بن شهابٍ ، قال: خرج عمر بن الخطَّاب إلى الشَّام ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، فأتوا على مخاضةٍ ، وعمر على ناقةٍ له ، فنزل عنها ، وخلع خفَّيه ، فوضعهما على عاتقه ، فخاض بهما المخاضة.

---

(١) مسلمٌ ٤/ برقم ٢٨٦٥ (رقم الحديث في كتاب الجنَّة ٦٤) وأبو داود ٤/ برقم ٤٨٩٥ ، وابن ماجه ٢/ برقم ٤٢١٤.
(٢) شرح مسلمٍ ٢/ ١١٧.
(٣) مسلمٌ برقم ٢٥٨٨ ، والترمذيُّ برقم ٢٠٢٩.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أأنت تفعل هذا: تخلع خفَيك، وتضعُهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك.

فقال عمر: أوَّه!! لو قال ذا غيرُك أبا عبيدة! جعلتُه نكالاً لأمَّة محمَّد، إنَّا كنّا أذلَّ قومٍ، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به؛ أذلّنا الله. رواه الحاكم، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين، ووافقه الذَّهبيُّ[1].

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّه قال على المنبر:

أيُّها النَّاس! تواضعوا، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تواضع لله؛ رفعه الله، وقال: انتعش؛ نعشك الله! فهو في أعين النَّاس عظيم، وفي نفسه صغير، ومن تكبَّر؛ قصمه الله، وقال: اخسأ! فهو في أعين النَّاس صغيرٌ، وفي نفسه كبير»[2].

* عن جابرٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسِنكم أخلاقاً، وإنّ أبغضَكم إليَّ، وأبعدكم منِّي مجلساً يوم القيامة الثَّرثارون، والمتشدِّقون، والمُتفيهقون»[3].

قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثَّرثارين، فما المُتفيهقون؟ قال: «المُتكبِّرون». رواه الترمذيُّ وقال: حسنٌ غريب[4].

* وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «العزُّ إزارُه،

---

(١) المستدرك ١/ ٦١ ـ ٦٢.

(٢) رواه أحمد، والبزَّار، والطَّبرانيُّ، وهذا لفظه. قال المنذريُّ: ٣/ ٢٣١: [ورواةُ أحمد، والبزَّار يحتجُّ بهم في الصَّحيح].

(٣) الثَّرثار: الكثير الكلام تكلُّفاً. والمتشدِّق: هو المتكلم بملْ شدقيه تفاصحاً، وتعاظماً، واستعلاءً على غيره، وهو معنى المُتفيهق أيضاً.

(٤) التِّرمذيُّ برقم ٢٠١٨.

والكبرياء رداؤُه ، فمن ينازعني عَذَّبْته». رواه مسلمٌ[1].

* وعن عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كِبْر».

فقال رجل: إنَّ الرَّجل يُحبُّ أن يكون ثوبُه حسناً ، ونعلُه حسنةً ؟

قال: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال. الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ[2] وغَمْطُ النَّاس». رواه مسلمٌ ، والتِّرمذيُّ[3].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«مَنْ جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! إنَّ إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده.

فقال له رسولُ الله ﷺ: «إنَّك لست ممَّن يفعله خيلاء»[4] وهذا لفظ البخاريِّ.

وإنَّه لتهديدٌ رهيبٌ ذاك الوعيد الَّذي ورد في الحديث. . . إنَّه يتضمَّن عقوبةً شديدةً في ذاك الموقف العصيب ، الَّذي يتطلَّع فيه كلُّ إنسان إلى رحمة الله ، إنَّه يومٌ ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج: ١١ ـ ١٤]. في ذلك اليوم يتعرَّض هؤلاء الثلاثة إلى غضب الله ، وعذابه الأليم ، فما أفظع جزاءَهم! وما أصبرهم على النَّار!

في الحديث تأثُّرٌ واضحٌ بالقرآن الكريم. . وفي ذلك صورٌ رائعةٌ. وفيه ما يسمَّىٰ في علم البديع بالجمع ، وهو أن يجمع المتكلِّم بين شيئين ، فأكثر في حكمٍ واحدٍ.

وفي الحديث: أنَّ المعصية تتفاوت باختلاف مقترفها ، وأحواله.

وفيه ما يقرِّر رعاية الأسباب والدَّواعي ، والحديث كلُّه يبيِّن بشاعة هذه الكبائر.

* * *

---

(١) مسلمٌ برقم ٢٦٢٠.

(٢) بطر الحق: دفعه ، وردُّه. وغَمْطُ النَّاس: احتقارُهم ، وازدراؤهم.

(٣) مسلمٌ برقم ٩١ ، والتِّرمذيُّ برقم ١٩٩٨.

(٤) رواه مالكٌ ، والبخاريُّ برقم ٥٧٨٤ ، ومسلمٌ برقم ٢٠٨٥ ، والترمذيُّ برقم ١٧٣٠.